

«اللهم استرنا فوق الأرض وارحمنا تحت الأرض ويوم العرض»

ذكر الله أكبر وأوسع وأشمل عبادة

الآن: جلسة مثلاً تحدثوا عن الدنيا: هذا تاجر، هذا صانع، هذا عنده معمل، تجد أن الكأبة قد عمت، لأن إنسانا ليس له هذا النشاط أصبح خارج الاهتمام، أما إذا ذكرت الله، يجتمع الكل حولك، فإن ذكرت الدنيا تفرقوا عنه.

((مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَذَكَّرُونَ بِسُورَتِهِ يُبَيِّنُ لَهُمْ لَهَا مَعْنَى السَّكِينَةِ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلَسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ حِفْظِ جِمَارٍ وَكَانَ لَهُمْ خَسْرَةٌ))

عود نفسك أينما جلست أن تذكر الله، تجد أن المجلس قد ارتقى، عمت الفرحة، تألقت الوجوه، وعود نفسك كلما سمعت شيئاً مهما، حاول أن تحفظه، لأن الإنسان في النهاية ذاكرة.

الذي يريد أن يتكلم؛ سمع تفسير آية، تفسير حديث، قصة أعجبهه حفظها، أو كتبها، أو كتب ملخصها، أينما جلس، لو ذكر تفسير آية ارتقى المجلس.

الآن هناك آلاف اللقاءات، ملايين اللقاءات، كلها عن الدنيا، كلام فارغ؛ وغيبة، ونميمة، وتباه، وتفاخر، تجد الجلسة فيها مقت، ليس فيها سرور، يخرجون محطمين؛ هذا افتخر على هذا، وهذا استعلى على هذا، وهذا أظهر ما عنده من متاع الدنيا، فكسر قلوب الآخرين، يخرجون محطمين؛ أما إذا ذكروا الله فيخرجون جميعاً مجبورين.

على كل: ذكر الله أكبر ما في الصلاة، وذكر الله أكبر عبادة، وأوسع عبادة، وأشمل عبادة، لأنه يدور معك حيثما درت، أينما تحركت؛ إذا أويت إلى فراشك هناك دعاء خاص قبل أن تنام، إذا استيقظت من فراشك هناك دعاء خاص، إن خرجت من البيت هناك دعاء خاص، إن دخلت هناك دعاء خاص، إن ارتديت ثياباً جديدة هناك دعاء خاص، إن جلست إلى الطعام هناك دعاء خاص، إن قمت عن الطعام هناك دعاء خاص، إن دخلت إلى بيت الخلاء هناك دعاء خاص، إن خرجت منه هناك دعاء خاص، الدعاء اتصال مستمر، هذا هو ذكر الله. إنسان أقدم على شيء، على عمل يقول: يا رب أعني، يا رب إني تبرأت من حولي وقوتي، والتجأت إلى حوك وقوتك، يا ذا القوة المتين.



معين، بجماعة معينة؛ فهذا قيمة مرتبطة مع هذه الجماعة، أو مع هذا الشخص، أو مع هذا الحدث، ولا يليق بك أن تكون لغير الله، وحينما تكون لغير الله تحتقر نفسك، ولا تعرف قيمتها.

معظم الناس مشركون شركاً خفياً، أي هو يعبد جهة من دون الله، يؤلّوها، يخلص لها؛ بمحضها حبه، يحضنها جهده، يحضنها حنجرته، هو لها. عبيدي أنا لك فانت لمن؟ وأنا معك فانت مع من؟

وقيل: «اذكروني بنسيان غيري اذكركم، واكشف الحجب عن وجهي، حتى تنظروا إلى نوري».

أي الله عز وجل هو المنحة التي لاتوصف، فإذا قبلت منحة إنسان، ونسيت الواحد الديان، فانت مع الخاسرين.

كما قلت قبل قليل: إذا أكثر من ذكر الله برئت من النفاق.

وسبحان الله! ذكر الله يجمع وذكر الدنيا يفرق.

إن تعرض عن بيت لا يعجبك احتقاراً له، إن تعرض عن عمل لا يكفيك دخله احتقاراً له، إن تعرض عن فتاة لا تروق لك، لم تعجبك لتتزوج منها، هذه الحالات تحتقرها، أما إذا أعرضت عن الله، فانت قد سفت نفسك، احتقرتها؛ لأنك لله، أنت لله، فإذا كنت لعبد الله فانت من الخاسرين.

لا يليق بك أن تكون لغير الله، تجده حراً؛ إذا كنت لله فانت حر، إذا كنت لله فانت عزيز، وإذا كنت لله فانت مطمئن، إذا كنت لله فانت واثق من المستقبل، إما إذا كنت لعبد الله، عبد الله لو فرضنا غاب عن الساحة، انتهيت أنت معه؛ إذا ربطت مصيرك بإنسان فانت عبد لهذا الإنسان، أما إذا ربطت مصيرك بالواحد الديان، فانت مع الله دائماً.

ذكر الله عز وجل من علامات الإيمان

لذلك المؤمن فوق الأحداث الطارئة، هناك إنسان يربط نفسه بحدث

إذا ذكرت الله ذكرك الله، إذا خفت من الله أمك الله، إذا رجوت الله لبك الله عز وجل. ورد في بعض الكتب: أن عبيدي أنا لك فانت لمن؟ وأنا معك فانت مع من؟

قد تجد أحياناً: ((إني والإنس والجن في نبأ عظيم: أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر سواي)).

أي أنا لك فانت لمن؟ وأنا معك فانت مع من؟

هناك معنى دقيق أحياناً يمكن أن تعبر عنه بلغة دارجة أنت لا يليق بك أن تكون لغير الله، وإذا كنت لغير الله فقد احتقرت نفسك، أنت المخلوق الأول، أنت لله؛ فإذا قدرت أن تكون لغير الله، أن تكون ملحقاً مع إنسان، من أتباع إنسان تعبد من دون الله، تعظمه من دون الله، فانت قد احتقرت نفسك؛ لأنه قد تعرض عن شيء احتقاراً له، أما إذا أعرضت عن الله فانت احتقرت نفسك: «وَمَنْ يَرْغِبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ» [سورة البقرة الآية:130].

فالبطولة أن تقيم علاقة طيبة مع الله، الآن حتى إذا كنا تحت الأرض رحمنا الله عز وجل، وقال بعضهم: اذكروني عند المعصية اذكركم يوم القيامة عند رؤية النار.

لا يليق بالإنسان أن يكون لغير الله لأن عبد الله حر

المعاصي متاحة لكل إنسان، إذا كان الذي يمنعك عن المعصية خوف الله عز وجل فإن ذكرت قلت: معاذ الله! إني أخاف الله رب العالمين، يذكرك الله يوم القيامة عند رؤية النار. لو إنسان رأى مثلاً امرأة فاشتهاها، فقال: معاذ الله! إني أخاف الله رب العالمين، ذكره الله يوم القيامة عند رؤية النار، كلما أغرته معصية فقال: معاذ الله! إني أخاف الله رب العالمين، ذكره الله يوم القيامة عند رؤية النار.

فإنسان إذا كبرت سنه، وانحنى ظهره، وضعف بصره، وشاب شعره، يقول الله له: عبيدي استخ مني، فأنا أستحي منك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ألا أنبئكم بخير أعمالكم -خير اسم تفضيل- وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم، قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: ذكر الله عز وجل)) ذكر الله كلمة شاملة واسعة؛ إن قرأت القرآن فانت ذاكر لله، وإن استغفرت الله فانت ذاكر لله، وإن سبحته فانت ذاكر لله، وإن حمدته فانت ذاكر لله، وإن كبرته فانت ذاكر لله، وإن وحدته فانت ذاكر لله، وإن دعوته فانت ذاكر لله، وإن قرأت سنة نبيه فانت ذاكر لله، وإن تلوت على الناس سير الصحابة الكرام فانت ذاكر لله، فإني نشاط يقربك من الله عز وجل فهو ذكر لله.

بطولة الإنسان أن يقيم علاقة طيبة مع الله تعالى

هناك أقوال لبعض العلماء حول الذكر، قالوا في قوله تعالى: «فاذكروني اذكركم» [سورة البقرة الآية:152]، اذكروني على وجه الأرض اذكركم في بطن الأرض.

أي أنت في الدنيا، يمكن أن تانس بالناس؛ بزواجك، بأولادك، بأقربائك، بمن حولك، ولك مكانة اجتماعية، عندك طلاقة لسان، الناس حولك متعلقون؛ إن ذكرت الله وأنت على وجه الأرض، ذكرك الله وأنت في بطن الأرض؛ في بيت الوحشة، في بيت الدود، في بيت الظلمة، إن ذكرت الله وأنت على وجه الأرض ذكرك وأنت في بطن الأرض؛ وأنت في أمس الحاجة إلى الله، وأنت تحت الأرض. لذلك في بعض الأدعية: «اللهم استرنا فوق الأرض، وارحمنا تحت الأرض، ويوم العرض».

وبعضهم قال: «إذا وضع الميت في قبره، وانصرف عنه المشيعون من أهله، وتركوه وحيداً في لحد، يقول الله عز وجل: عبيدي رجعوا وتركوك، وفي التراب دفنوك، ولو بقوا معك ما نفعوك، ولم يبق لك إلا أنا، وأنا الحي الذي لا أموت».

أحياناً الموظف يُنحى مديره العام، هو قلق جداً، من الذي سيأتي بعده؟ لو جاءته معلومة: فلان سيعين مكانه، يسعى لإقامة علاقات طيبة مع هذا الذي سيأتي ضمناً للمستقبل، فنحن سنؤول إلى القبر جميعاً، ولا يوجد في القبر إلا الله عز وجل.

